وهنا الإذن التكويني متعلق بـ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ حيث تتكون طيراً بإذن الله، فلم يقل ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ حتى يكون الإذن موجهاً إليه في ذلك التكوين، إذاً فالإذن هنا كـ«كن» في سائر التكوين ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

فإنما المحور في هذه الأربع وغيرها من آيات الله البينات رسولية ورسالية، هو إذن الله تكويناً لها قرينا بظاهر المحاولة في إبرازها، فلا فارق بين محاولات الرسل في إظهار الآيات وبين سائر المحاولات إلّا أن الله يأذن تكويناً عند محاولات الرسل تدليلاً على اختصاصهم بالله وصدقهم في رسالة الوحي، ولا يأذن عند ما سواها من محاولات فإنه تضليل، فقد يأذن في محاولات لإبراز آيات، ثم يأذن عندها بتحقيقها، والرسل إنما هم في ذلك الحقل بين إذنين اثنين: تكليفاً في الأوّل وتحقيقاً منه في الثاني، فـ﴿تَخْلُقُ﴾ تسوية للطين على شاكلة الطير، ثم تحولاً له إلى الطير، كلاهما ﴿بِإِذْنِي﴾ ثم ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ كلاهما ﴿بِإِذْنِي﴾ و«تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ» محاولة الإبراء وتحققه كلاهما ﴿بِإِذْنِي﴾ ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ محاولة وتحققاً كلاهما ﴿بِإِذْنِي﴾.

فكما لم يكن واقع هذه الخوارق إلَّا بإذن تكويني من الله، كذلك لم تكن المحاولات المناسبة لها إلَّا بإذن تكليفي من الله، فليس الله ليأذن في حقل الآيات تحقيقاً إلَّا بعدما يأذن لمحاولة الرسل كما يحق.

فلو صنع المسيح ألف صنعة، أم نفخ ألف نفخة في آلافات من السنين، لم يكن الله ليأذن في تحقق هذه المحاولات ما لم يأذن بها من ذي

(١) سورة النحل، الآية: ٤٠.

قبل فـ ﴿إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[١] و﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾[٢] فالقدرة والعلم الناتجة عنها الآيات يختصان بالله دون سواه.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾:

الحواريون هم المؤمنون الأولون بالسيد المسيح عليه السلام وترى ﴿أَوْحَيْتُ﴾ تعني وحي الرسالة؟ ولا يساعده ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى﴾ حيث الإيمان بالله يسبق وحي الرسالة بأشَدِّه وأشُدِّه، لأن الرسل مصطفون بين الأصفياء! بل ويضاده ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وما أشبه في الآية التالية حيث تدل على بسيط الإيمان لأضعفه دون وسيطه فضلاً عن أشَدِّه بأشُدِّه.

إذاً فقد «ألهموا»[٣] دون رسالة مهما كانت جزئية هامشية، وذلك هو الإيمان الأوّل، ومن ثم الأخير، وهو بطبيعة الحال أكمل وأفضل: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾[٤].

ذلك، وإلهام الإيمان في أصله أدنى من الإلهام إلى المؤمن كما ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ . . .﴾[٥] إذ كان أفضل وأعلى من وحي الإلهام إلى الحواريين. ولقد كان ذلك الإيحاء إليهم:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة هود، الآية: ١٤.
(٣) نور الثقلين ١: ٦٨٠ في تفسير العياشي عن محمد بن يوسف الصنعاني عن أبيه قال سألت أبا جعفر عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١]؟ قال: ألهموا.
(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٢، ٥٣.
(٥) سورة القصص، الآية: ٧.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾:

فلقد أوحى الله إليهم أن آمنوا عند هذه القالة الغائلة فقالوا ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ وعلّه بعد سابق الآيات الرسولية للمسيح عليه السلام.

وترى الموحى إليه بالرسالة يقول لمحور الرسالة ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ شكًّا في استطاعة الله، وهتكاً في التعبير عن الله بـ ﴿رَبُّكَ﴾ دون «الرب - أو - ربنا - أو - رب العالمين» فكان جوابهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حيث هددوا توبيخاً بعدم الإيمان الصالح لحدّ اللّاإيمان.

وتوجيه الآية بما يُعارض نصها قبيح، مثل «هل تستطيع ربَّك»[1] زعماً أنها تعني هل تستطيع أن تطلب من ربك أو «هل يطيعك ربك؟»[2] سناداً لهما إلى معصوم، ذلك تزييف للثقل الأكبر فرية عليه بالثقل الأصغر، ولا سيما في الآخر فإنه يجعل الله في طوع عبده!.

وكلّ ذلك للحفاظ على زعم رسالتهم، فقد أوّلوا الاستطاعة بمعنى الإطاعة، والإطاعة بمعنى الطوع، والطوع بمعنى الرضا، سلسلة من التأويلات العليلة في ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ حتى يستطيعوا الحفاظ على عصمة متخيلة للحواريين.

وهذه من التأويلات الهارفة الخارفة من هؤلاء الله الذين لا يرجون لكلام الله وقاراً، ويكأن الدلالات القرآنية لا تمشّى إلّا كما يهوون ويمشُّون!.

---

(١) الدر المنثور ٣: ٣٤٦ - أخرج الحاكم وصححه الطبراني وابن مردويه عن عبد الرحمن بن غنم قال سألت معاذ بن جبل عن قول الحواريين: هل يستطيع ربك أو تستطيع ربّك؟ فقال: اقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله هل تستطيع ربّك.

(٢) المصدر أخرج ابن أبي حاتم عن عامر الشعبي أن علياً عليه السلام كان يقرؤها: هل يستطيع ربك؟، قال: هل يطيعك ربك؟، ومثله عن السدي.

وترى ما هو الفارق بين هذه القيلة الغيلة وبين قالة اليهود: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ . . .﴾[١] بل إن قالتهم أولاء أقل إساءة من قالة هؤلاء!.

ذلك، وفي اقتراح آية سماوية وبهذه الصيغة المهينة بعدما رأوا آيات المسيح عليه السلام الرسولية حيث ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ . . .﴾[٢] تدل على أن بزوغ دعوته كان بآيات إضافة إلى آية ولاده من ذي قبل.

إن في ذلك الاقتراح إساءَة أدب من هؤلاء، فأوحى إليهم أن آمنوا بي وبرسولي حيث كانت قالتهم قالة اللاإيمان.

فقد استحقوا من الله تنديدات شديدة تحملها الآيات التالية ومنها هنا ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: تقوى عن طغواهم على الله، وعن قيلة الشطحات وتطلُّبه مثل تلكم الآيات من الله، مسحوبة بالتشكك في استطاعة الله!.

فالمسيح عليه السلام الذي هو بنفسه آية وقد أتى بآيات فهم غرقى آيه البينات، كيف يسوغ لهم أن يتطلبوا إليه ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ . . .﴾؟ فلذلك يوحي إليهم هنا ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾.

فعجباً من أناس يحاولون تأويل الآية خلاف نصها حفاظاً على عصمة متخيلة للحواريين في بداية أمرهم، تقديماً لها على عصمة القرآن العظيم وكما أوَّلوا عصيان آدم إلى ترك الأولى وما أشبه من تأويلات عليلات هي مس من كرامة العصمة القرآنية.

ولا يذكر الإنجيل قصة تطلُّب المائدة إلَّا بصورة أخرى هي أنكى وأضل

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

سبيلاً، أنهم تطلبوا منه أن يحول لهم الماء خمراً فآمنوا به لما تحول[١]! وبصورة أخرى هي أخف وطأة وأقل مساً من كرامة الإيمان[٢] والصورة الواقعية هي المذكورة هنا بما يليها، محافظة على كرامة الله ومسيحه، وبياناً لقلة إيمان الحواريين رغم توفر الآيات الرسولية للسيد المسيح عليه السلام.

ذلك! وإلى عاذرتهم الغادرة المائرة المايدة في تطلب المائدة حيث تضيف إلى قالتهم غالة أخرى.

﴿قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾:

فهنا لا ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ ولا ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ ولا ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ

(١) في إنجيل يوحنا ٣: ١ - ١١ - ١ - «وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ٢ - ودعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس ٣ - ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر ٤ - قال لها يسوع ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد ٥ - قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه ٦ - وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كلّ واحد مطرين أو ثلاثة ٧ - قال لهم يسوع املأوا والأجران ماء فملأوها إلى فوق ٨ - ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكإ فقدموا ٩ - فلما ذاق رئيس المتكإ الماء المتحول خمراً ولم يكن يعلم من أين هي ولكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء وعلموا دعاء رئيس المتكإ العريس ١٠ - وقال له كلّ إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدون أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن» هذه بداءة الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه!

(٢) ففي إنجيل متى في منتهى الإصحاح الخامس عشر: وأما يسوع فدعا تلاميذة وقال: إني أشفق على الجميع لأن لهم الآن ثلاثة أيام يمشون معي وليس لهم ما يأكلون.
ولست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا في الطريق. فقال تلاميذه من أين لنا في البرية خبز بهذا المقدار حتى يشبع جمعاً هذا عدده؟ فقال لهم يسوع: كم عندكم من الخبز؟ فقالوا: سبعة وقليل من صغار السمك. فأمر الجموع أن يتكئوا على الأرض وأخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسر وأعطى تلاميذه والتلاميذ أعطوا الجمع فأكل الجمع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبع سلال مملوءة والآكلون كانوا أربعة آلاف ما عدا النساء والأولاد.
أقول: وورد مثلها في سائر الأناجيل.

﴿صَدَقْتَنَا﴾ ولا ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لايبرر شيء منها ذلك السؤال الهاتك الفاتك، حيث الأكلُ غير مخصوص بمائدة السماء، والحاجة المدقعة إلى أكل، أم التبرك بمائدة السماء، تُقضى بعبارة أدبية كـ«هل تطلب من الله أن ينزل عليها مائدة...».

وهلَّا تأخر ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ على الثلاثة الأخرى، تقدماً للحاجة الباطنية على البطنية الروحية؟.

فهذا مما يبرهن أن تطلبهم الخواء البواء لم يك يقصد منه - كأصل - مزيد الإيمان والإيقان، حيث الدور الأوَّل فيه ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ ومن ثم ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾.

ثم كيف ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ فحين لم تطمئن قلوبهم بسائر الآيات البينات الرسولية العيسوية فلا دور للإيمان أو مزيدة بآية في سؤال الأكل، وكذلك ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ ومن ثم ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أفلم يكونوا شاهدين في سابقة الآيات السابغة؟ أم هم أعلم من الله بنوعية الآيات القاطعة؟

فهذه الطلبة هي بعبارة أخرى نكران لآيات المسيح الرسولية، الظاهرة البارزة لهم من ذي قبل.

إذاً فما زادتهم هذه الأعذار القاحلة غير تخسير، ظلمات بعضها فوق بعض! فالأثر الوارد بحق خلوصهم وتخليصهم أولاء الحواريين مطروح أو مأوّل بغير البداية من أمرهم الإمر[1] كما في آية الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) نور الثقلين ١: ٦٩٠ في عيون الأخبار بإسناده إلى علي بن الحسن الفضال عن أبيه قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام لِمَ سمي الحواريون حواريين؟ قال: أما عند الناس فإنهم سموا حواريين لأنهم كانوا قصارين يخلصون الثياب من الوسخ بالغسل وهو اسم مشتق من الخبز الحوار، وأما عندنا فسُمي الحواريون حواريين لأنهم كانوا مخلصين في أنفسهم ومخلصين لغيرهم من أوساخ الذنوب بالوعظ والتذكر.

كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ . . .﴾[1] وذلك ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَى مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٣﴾[2].

ذلك، وقد تكون تطلبه آية المائدة من بعضهم دون جمعهم، ثم المخلصون منهم في آخر أمره هم - فقط - منهم، أم وممن سواهم، دون المستحق لعذاب الله فيهم في ذلك التهديد الحديد ﴿أُعَذِّبُهُۥٓ عَذَابٗا . . .﴾[3].

فعلى أية حال فقد تعدى الحواريون في سؤالهم هذا طور العبودية بأدبها رغم تقدم الآيات الباهرة لرسالة المسيح. فأوحى إليهم الله ﴿أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ فقد تشابه أمرهم هذا تطلبات المشركين الطائلات الغائلات آيات يشتهونها بعد أهم الآيات وأعمها وهي القرآن العظيم، ولكنهم لحرمة إيمانهم الصالح في مستقبل أمرهم أوحى إليهم أن آمنوا.. وأجابهم فيها بدعاء المسيح عليه السلام عيداً وآية تنضم إلى سابقة الآيات السابغة مزيداً للحجة وتزويداً للمحجة، مهدداً إياهم بأليم العذاب إن كانوا بها كافرين:

﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤﴾:

وقد بدل «ربك» هنا بـ«ربنا» كما بدل الاستطاعة بواقع المستطاع ﴿أَنزِلۡ﴾، وضمن دعاءه هذا الأديب الأريب سُؤلات ثلاثة لا تحمل من أسؤلتهم تلك إلّا ﴿نَأۡكُلَ مِنۡهَا﴾ بغيار التعبير: ﴿وَٱرۡزُقۡنَا﴾.

(١) سورة الصف، الآية: ١٤.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٢، ٥٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٥.

فـ ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ كمفخرة في إجابة الدعاء أمام الغلاظ الشداد الألَدّاء من كفرة بني إسرائيل ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ مهما كنا مؤمنين من قبل مطمئنين بسابقة الآيات، فقد دمج نفسه في متطلبي هذه المائدة ولم يكن ليشك في رسالة نفسه ولا في استطاعة ربه استجابة سُؤله، فهذا أدب أوَّل في دعائه عليه السلام، خليصاً عما دعوه ليدعوا، من سوء الأدب وخلط الإرب.

وعيد المائدة فيه تجديد حياة الملة وتنشيط نفوس العائدين وذكرى لهم على مرِّ الزمن ﴿لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

ثم ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ هي الأخرى بعد معظم الآيات التي بعثت بها إلى بني إسرائيل، فكلما كثُرت الآيات كثُرت الاطمئنانات، لا لقصور في سابقة الآيات فإنها سابغات، وإنما لقصور متطلبيها وتقصيرهم، وليس منهم المسيح نفسه فإن «آيةً» منكرة ليست إلَّا للقاصرين والمقصرين، دون المسيح الذي هو نفسه آية ومعه كبريات الآيات، التي هي معرَّفة وهذه بجنبها منكّرة.

ومهما كانت تطلُّبه آية بعد سائر الآيات تطلبة خواء، ولكنها حين تتضمن «عيداً» فليس الله منها براء، ولا سيما إذا كانت هذه الآية رزقاً لأبدانهم مع كونها رزقاً لأرواحهم في بعدي العيد والآية.

ومن ثم ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ مما يلمح أنهم كلهم كانوا في حاجة ملمة مدققة إلى أكل لم يجدوه في أرض الله، فليطلبوه من خير الرازقين أن ينزله عليهم من سمائه فإنه ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1] والقائل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[2].

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

ولقد أخر حاجة الأكل كفرع - رغم ما قدموها كأصل - أدباً بارعاً في الدعاء في تقديم سُؤل الروح على سُؤل الجسم، فقد بان البون بين دعائهم الهارع القارع ودعائه البارع وأين دعاء من دعاء.

وكما البون بين هؤلاء الحواريين بداية ونهاية وبين حواري نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته المعصومين عليهم السلام [١].

ذلك ولكن أدب المسيح عليه السلام أثر فيهم كأفضل ما أمكن وأجمله بين هؤلاء اليهود الصلدين الصلتين حيث لازموه وساندوه في مختلف المجالات وكانوا مذياعاً لصوته الرسالي بين الناس [٢].

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾:

إذاً فلم تكن الإجابة بدعائهم المسيح أن يدعوا الله، فإنما هي بدعاء المسيح عليه السلام حيث خلص دعاءَه عما تقولوا وأخلص في دعائه مستنداً إلى تلكم الثلاث التي هي كلها مرضية عند الله.

(١) بحار الأنوار ١٤: ٢٧٤ - ٧ عن الكافي بسند متصل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن حواري عيسى عليه السلام كانوا شيعته وإن شيعتنا حواريونا وما كان حواري عيسى عليه السلام بأطوع له من حوارينا لنا وإنما قال عيسى عليه السلام للحواريين: «من أنصاري إلى الله: قال الحواريون نحن أنصار الله» فلا والله ما نصروه من اليهود ولا قاتلوهم دونه وشيعتنا والله لم يزالوا منذ قبض الله عز ذكره رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ينصرون ويقاتلون دوننا ويحرقون ويعذبون ويشردون في البلدان جزاهم الله عنا خيراً».

(٢) ففي البحار (٨) أحمد بن عبد الله عن أحمد بن محمد البرقي عن بعض أصحابه رفعه قال قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قُضيت حاجتك يا روح الله فقام فغسل أقدامهم فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله! فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل.

هنا ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ برهان لا مرد له أنه أنزلها عليهم فإن الله لا يخلف الميعاد مهما كان الموعودون غير صالحين، وفيهم مثل السيد المسيح عليه السلام وهو من أصلح الصالحين حيث دعى ما دعى فأجيب هكذا فيما دعى، فالحوار حول: هل إن الله أنزل المائدة أم لم ينزلها؟ إنّه بوار من حوار.

وليست قصة استعفائهم المروية بالتي تنقض ما وعده الله مسيحه عليه السلام فلو أنه تعالى كان قابلاً لاستعفائهم لما كان واعداً إنجاز طلبتهم، ولو أن استعفاءهم يعقب العفو، لما كان - إذاً - إعفاء عما طلبه المسيح عليه السلام فأين دعاءه من دعائهم!.

وهنا التهديد الحديد بعد نزول آية المائدة بـ﴿أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا...﴾[1] دليل باهر أنها ما كانت الآية الأولى النازلة لإثبات رسالته، بل هي آية مقترحة بعد آيات كافية، وهكذا يكون دور الآيات المقترحة أن يشمل المكذب بها عذاب الاستئصال، فكما أن تطلُّب آية المائدة بعد سائر الآيات الفضلى كان من حصائل عدم الإيمان فاستحقوا التنديد الشديد ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ كذلك هم يستحقون نكال العذاب إن كفروا بهذه الآية المقترحة.

وهكذا تصرح آيات عدة أن وعيد العذاب يختص بمقترحات الآيات إذا لم يؤمنوا بها، وبعد إذ أتتهم آيات بينات، ولو أن الحواريين لم يروا - قبل اقتراحهم آية المائدة - آيات المسيح عليه السلام لم يكن في اقتراحهم هذا كيفما كان تأنيب وقد أنبوا بـ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2] ولا وعد التعذيب بعدُ وقد أوعدوا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٢.